

الشخصيات ودورها في البناء السردى في البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي

زينب علي كاظم حمدي

وزارة التربية/ مديرية تربية بغداد الكرخ الثانية.

zainab.ali1202a@coeduw.uobaghdad.edu.iq

الملخص :

ركز العنوان على معايير مهمة ترتكز على الشخصيات عند أبي حيان التوحيدي في كتابه البصائر والذخائر ، وبرز البناء السردى الذي تأسست عليه تلك الشخصيات وما جسده ، والشخصية لها أهميتها في العمل السردى في تحريك الأحداث والأدوار ، وتقودها وتسير بها إلى الأمام ، وعند متابعة الدور الذي تلعبه الشخصيات في البناء السردى في كتاب البصائر والذخائر ، واختيار الطريقة التي رسم بها شخوص بطرق اخبارية كشفية ، وتبرز هذه الشخصيات أحداث متعددة ؛ لذلك يكون البحث مسلطاً للكشف عن ذلك ، فيكشف الجانب الذي يهتم بالشخصية على الألية التي اتبعها التوحيدي في خطابه ، من خلال استعمال الشخصيات بوظائفها ، لذلك فإنّ الهدف الرئيس من ذلك البحث هو بيان الأسس التي اعتمدت عليها الشخصيات في البنى السردية التي سبقت وفق قواعد خاصة ، للسياق دوره المهم فيها لذا فإنّ مفهوم الشخصية يمكن أن يكون وفق نوعين ، الشخصية الرئيسية ، والشخصية الثانوية ، ومدى الارتباط بينهما في السرد ، وما تلعبه الشخصية في داخل ذلك السرد ، وخاصة إن وجدنا التوحيدي يصف الجوانب الخارجية ، فضلاً عن الداخلية ، التي تكشف عن ما تخفيه الشخصية من معالم حقيقية أرادها الكاتب لها والفوارق التي ترد في بناء الشخصيات لابد أن تكشف بشكل جزئي ، يستطیع من خلاله القارئ أن يحمل فكرة كافية عنها ، وما تحويه من التدخل مع بعضها البعض وفق واقع بيئي ملموس يمثل الواقع الذي تعيشه تلك الشخصية .

الكلمات المفتاحية البناء - السرد - الشخصيات - البصائر والذخائر - أبو حيان

The sincere one

The title focuses on important criteria based on the characters in Abu Hayyan al-Tawhidi's book, Al-Basair wal-Dhakhair, and the narrative structure upon which those characters were founded and what they embodied. The character has its importance in the narrative work in moving events and roles, leading them and moving them forward. When following the role that the characters fulfill in the narrative structure in the book Al-Basair wal-Dhakhair, and choosing the method by which he drew the characters in informative and revealing ways, and these characters highlight multiple events She discovered the aspect that cares about the character on the basis of the monotheism in her speeches, through the use of characters with their functions, therefore, the main goal of this research is to explain the foundations relied on by the characters in the al-Bani al-Sardiya, which is written according to special rules, for the context of the important period in it Keywords

Construction- Narrative- Characters- Insights and Treasures- Abu Hayyan.

إطار البحث

يسر البحث وفق مفهوم فيليب هامون لبيان معالم الشخصية في وضع تصور شمولي لمفهوم الشخصية، وآليات بنائها، وهو يقدم تصورا سيميولوجيا لشخصية السردية، إذ يفارق التصورات التقليدية، وبوجه خاص المنظورين: السيكولوجي والدرامي، إنه يرى الشخصية عبارة عن ملفوظ لغوي، وبناء عليه يقيم هامون فرقا بين الشخصية الأدبية والشخصية بمعناها الحرفي/ الكائن البشري ، وتطبيقها على ما الفنه أبو حيان التوحيدي في كتابه البصائر والذخائر .

الهدف من الدراسة :

١-الكشف عن المعالم الحقيقية للشخصية السردية في واقعها البنائي .

٢- بيان الأدوات التي وظفت لهذا السرد .

٣- بيان ما أضافه الكاتب وما أبدع به .

المقدمة

يعد الواقع السردى بجميع ألياته الأساس الذي يبنى عليه النص الأدبي ، فهو يخلق عالم السرد في واقعه افتراضات عقلية وجدت في فكر الأديب ، وبذلك يُستطاع من خلالها بيان الأفكار والتعبيرات في كل العوالم التي يحاول الأديب إبرازها ، لذلك عُدَّ الواقع السردى من أهم العناصر في إبراز النص وبيان معالمه ، من خلال الشخصيات التي يعرضها والغوص في أفكار تلك الشخصيات وتجسيد واقعها الحقيقي ، والدخول إلى تلك العوالم للكشف عن حيثيات النصوص وبيان الأهداف التي توخاها الكاتب من تلك النصوص ، والهدف هو الكشف عن ذلك الواقع في كتاب البصائر والذخائر لأبي حيّان التوحيدي .

المبحث الأول : دراسة تعريفية بـ (السرد □ البناء - الشخصية)

لابد قبل الخوض في النماذج التطبيقية في كتاب البصائر والذخائر لأبي حيّان التوحيدي من تعريف بالمصطلحات التي سيبنى عليها سير الشخصيات عند المؤلف ، مع إيجاز لشخصيته ومنها :

أولاً : إضاءات من حياة أبي حيّان التوحيدي

يعد التوحيدي (ت ٤١٤ هـ) من أعلام الفكر الأدبي ، وهو علي بن محمد العباس الملقب بالتوحيدي ، وهو أحد الفلاسفة والمتصوفين ، اتخذ المنهج المعتزلي فكراً وتعبيراً ، ولقب بفيلسوف الأدباء ، كانت نشأته وولادته في مدينة شيراز ثم انتقل إلى بغداد ، وقد عاصر ابن العميد وصحبه ، وكذلك صاحب بن عباد ووشي به للوزير المهلب ، فأستتر منه ومات في استتاره عن نيف وثمانين عاماً ، وصف بالزندقة ، ومن ضمن ثلاثة زنادقة ، وعدّ أشهرهم ، ومن مؤلفاته (المقابسات - الصداقة والصديق - البصائر والذخائر - الجاحظ - مثالب الوزيرين ابن العميد وابن عباد^(١)) وقد درس على يد أبي علي الرمانى ومدحه في كتبه ، وقد نسب لنفسه صفة التوحيد ، ووصفت حياته بأنه كان فقيراً صابراً متديناً^(٢) .

ثانياً : السرد

كان لمفهوم السرد أهمية كبيرة ، حتى حظي باهتمام عند الباحثين من الأدباء والنقاد ، فهو مختص بما يقدم به الإنسان في نقل تجاربه وقصصه ، سواء كانت مبتنية على الواقع الحقيقي أو الخيالي ، وذلك من خلال التنقل في عوالم الشخصية وما تمر به من أحداث عامة . فالسرد يطلق في أصله اللغوي على ما تقدمه من أشياء ، وتأتي اللفظة منسقة بعضها ببعض الآخر أي أثر بعض متتابعاتها ، وسرد الكلام ويسرده إذا تابعه وترابط معه ، وفلان سرد الكلام سرداً إذا كان مترابط السياق له^(٣) ومن ذلك يمكن القول إنه يعني التتابع ، أي ترابط الأفكار والحديث وأقسامه وتتابعه ، وعرف السرد أيضاً في مادة سرد الأديم : يسرده سرداً وسرداً خززه ، والشئ يسرده سرداً ثقبه ، والدرع نسجها ، والسرد مصدر واسم جامع للدروع ؛ لأنه مسرد فيثقب ثقباً بالمسمار^(٤) وهذا يعني إنَّ المعنى يقوم على أمرين ، أحدهما : أن يضم قصة ، وهذه القصة تضم أحداث معينة ، وثانيهما : أن يعني المسلك الذي يمكن أن تحكى بها سير الأحداث وتسمى هذه الطريقة سرداً ؛ وعليه فإنَّ القصة الواحدة يمكن أن تُطرح القص بأسلوب مختلف ، والسبب : فإنَّ السرد هو ما يعتمد على تمييزاً عن الحكى بشكل مركزي^(٥) وعرف لدى جيرالد برنس بأنه " خطاب يقدم حدثاً أو أكثر ويتم التمييز التقابلي بينه وبين الوضع والتحليل سوى أنه كثيراً ما يتم دمجها فيه "^(٦) لذا يعد السرد من الفروع المهمة في الشعرية السردية ، باستنباط القوانين الداخلية للأجناس الأدبية ، والنظم التي تحكيها والقواعد التي توجه أبنيتها وتحدد خصائصها وسماتها^(٧) لذلك ارتبطت مقولات السرد الحديثة بالأجناس الأدبية كالرواية والقصة مما أسهم في توسيع أفق السرد ليشمل أجناساً وأنواعاً أدبية ، وغير أدبية ، وظهرت محاولات عدّة عن تسميات وتصنيفات للمحكي ، وكان لنظرية الأجناس دور مهم وأثر كبير في تحديد الشكل والنوع^(٨) وبذلك يمكن القول إنَّ الخطاب السردى غير منجز في معيار واحد ، بل له تعريفات متعددة تتركز في كونه طريقة تروى بها القصة ، وهذا يضيف إلى جوهر العملية السردية على إعادة تشكيل الواقعية الحقيقية أو الخيالية ، أي الطريقة التي يتم من خلالها وصف الأفعال بعلاقاتها المختلفة .

ثالثاً : البناء لغةً واصلاحاً

تناولت المعجمات العربية لفظة البناء أو البنى ، فقالوا إنها تطلق على مَنْ أحسنوا البناء ، وهي مشتقة من الفعل الثلاثي (بنى) ، ولها معاني كالبناء والطريقة ، وتدل على معنى التشييد والعمارة والكيفية التي يكون عليها البناء ، أو الكيفية التي تشيد عليها^(٩) . والملاحظ إنَّ ثنائية المعنى والمبنى التي ترتكز عليها وحدات اللغة العربية وتغييراتها التي تتمخض فيها ، وعليه قيل إنَّ الزيادة بالمعنى هي زيادة بالمبنى ، فكل انتقاله في البنية هو تحول تصوري في الدلالة ، والبنية محور منتظمونظام له صورته الخاصة شكله المتفرد ووحدته المستقلة ؛ وذلك بسبب الأصل فيها

إنّها تحمل المعنى المجموع بما تحويها من جزئيات مكونة لها^(١٠). والبنية تعني (STRUR) أي بمعنى الأصلي (CONSTRUIRE)^(١١) ويؤكد ليفي شتراوس إنّ البنية مجرد طريق أو منهج منظم وفق خاصية ما ، وتكون في أي نوع من الدراسات ، كما في التحليل البنيوي المستخدم في الدراسات والعلوم الأخرى^(١٢). وهذا يعني إنّ يحدد البنية بأنّها نسق يتألف عن طريق العناصر الأخرى المكونة لها ، ، وهذا يعني إنّ البنية شكل معين للشيء ، أو هيكله ، وقد تكون فكرته و عناصره و فقرته و مكونه المادية أو الشبئية الموضوعية وصولاً إلى التعميم الكلي الذي يشد أجزاءه^(١٣).

ونجد إن بياجيه حدد الخصائص التي تبني عليها البنية ثلاثة^(١٤) :

- ١- الكلية : وتعني غياب التلاحم والترابط في الأجزاء .
 - ٢- التحولات : مجموعة من المتغير الذي تمنح البنية حركة عميقة وتعتمد على حفظ وإثراء الاجزاء ذاتها ، من غير أن تلجأ إلى انصراف عن أطرافها أو الانتماء إلى العناصر السطحية .
 - ٣- التنظيم الداخلي : ويعني إنّ البنية كيان عضوي منسق مع نفسه متعلق عليها مكتفٍ بها ، فهي تمثل كل عنصر متماسك له قوانينه وحركته نموه وتغيره ، ومن ثم فهي لا تحتاج إلى تماسكه الكامن .
- رابعاً : الشخصية :

بين الخليل بن أحمد الفراهيدي معنى الشخصية في كتابه العين بأنه ضبابية الكائن إذا رأيته عن بعد ، وكلّ شيء رأيته جسمانه إذ رأيته شخصه ، ويجمع : شخوص وأشخاص^(١٥) ، وقد أوضح ابن منظور إنّ الشخص هو الإنسان وغيره ، وهو مذكر ، والجمع أشخاص وشخوص وأشخاص^(١٦) وبين مجمع اللغة العربية إنّ الشخص هو كلّ كيان له ارتفاع وبيان وغلب في الانسان ، وعند الفلاسفة الذات الواعية والواضحة لكيانها المستقلة في إرادتها ، ومنه الشخص الأخلاقي من توفرت فيه صفات مؤهلة للمشاركة الفعلية والأخلاقية في مجتمع إنساني^(١٧). فالشخصية كائن موصوف بصفات بشرية وملتزم بأحداث بشرية^(١٨) ، كما إنّ الشخصية تستخدم غالباً للإشارة للمخلوقات في عالم الوقائع والمواقف المروية فقد يشير أحياناً إلى السارد والمسروود^(١٩) وقد اهتمت السرديات بالشخصية كعنصر؛ كونها محور القضية السردية ؛ لذلك فإنّ فليب هاملتون أكد على حظوظها البالغة في أدب النهضة ، وحتى في أدب العصر الكلاسيكي لدرجة إنّ عملية تنظيم عناصر المحكي الأخرى انطلقت منها أولاً^(٢٠). وتتنوع الشخصية الى الرئيسية المرجعية، والشخصية الإشارية ثانوية ، والشخصية الاستذكارية التأملية .^{٢١} وبذلك يمكن القول إنّ الشخصية لها أهميتها في العمل السردى إلى الأمام ، وعند متابعة الدور الذي تلبيه الشخصيات في البناء السردى في كتاب البصائر والذخائر ، واختيار الطريقة التي رسم بها شخوصه ف سرده للأحداث ودراستها التي تبني عليها الشخصية ، و التماظهر بطرق كشفية ، وتبرز هذه الشخصيات أحداث متعددة ؛ لذلك يكون البحث مسلطاً للكشف عن ذلك .تتكون لذلك نجد إنّ الشخصية ترتكز على موارد كبيرة ومهمة وهي أن تبني على سياق زمني ومكاني معين ، لتكون الشخصية جزء من ذلك الحيز المكاني أو الزماني المتمثل داخل النص^(٢٢) .

المبحث الثاني : الشخصيات ودورها في البناء السردى عند أبي حيان التوحيدي

أخذت الشخصيات عند هاملتون كل الأبعاد التي يمكن أن تتصور في الشخصية سواء الجوانب الرئيسية أو غيرها من الجوانب الاجتماعية والنفسية ، فكان الفكر الذي بينه التوحيدي في كتابه متنوعاً وفق جوانب متعددة .

أولاً الشخصية الرئيسية :

تتميز الشخصيات التي عرضها أبو حيان في منهجيته من خلال كتابه على نوع من النقل الذي يخلق انطباعات ودلالات تتميز بأبعاد متعددة منها الجانب النفسي أو الواقعي ، ومقدار التأثير الحاصل بهذا الجانب ، وتتولد هذه الحتمية بالتحولات الحاصلة والمتنقلة في سرد الحكاية أو عرض الرواية .ففي نص له يقول به : " قال الكاتب : تعلمتُ البلاغة من مروان بن محمد ، أمرني أن أكتب في حاجة إلى أخ له فكتبت على قدر موسع ، فقال لي : أكتب ما أقول لك : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما آن للحرمة أن ترعى ، وللدّين أن يقضى ، وللموافقة أن تتوضى"^(٢٣) .والملاحظ إنّ حامل الرواية المنقولة هو الشخصية الرئيسية فيها ، وهو ما قاله عبد الحميد الكاتب ، رغم التداخل الحاصل مع شخصيات أخرى ثانوية ، وهي مروان بن محمد فتداخل الشخصية مع المكونات الحكائية الأخرى في بناء النص ؛ فأنّها تتسج سردها من خلال تنوع الشخصيات وتعددتها ، وهذا يعني إنّ الشخصية أو قيمتها حسب مفهوم (فليب هامون) الذي يرى إنّ تلك الشخصية وحدة دلالية قابلة للوصف والتحليل ، ولا تولد إلا من خلال ما تقوله أو ما تفعله أو ما يقال عنها في النص^(٢٤) وهذا يعني إنّ الأدباء في عرضهم لما قالوه على الجانب السوسولوجي للشخصية في سردياتهم المعاصرة ممّا يجعله يهتم ببيئة الشخصية وتعلقاتها بالموارد ، وهذا الأمر عندما تكون الشخصية ذات انتماء

اجتماعي أو مرجعي من خلال تكليفه بالعمل الذي يقوم به داخل المجتمع وثقافته ونشاطه ، وكل ظروفه التي يمكن أن يكون لها أثر في حياته ، وكذلك اتجاهات الدينية^(٢٥) ولعل هذا ما ورد عند أبي حيان فيما يعرضه من خلال تصوير الشخصية في بيئتها الاجتماعية والدينية ، ومن خلال ما نقله أبو حيان من حكايات ، ومنها قوله : وقد ذكر ما نسب إلى إبراهيم : إنه يقول إنَّ أباه موسى حيٌّ ، فقال الرضا (عليه السلام) : أيموت رسول الله (صلى الله عليه واله) ولا يموت موسى ؟ فالعجب من يدعي الكرامة بهذا الدين العجم أولاد الدُّهاقين ويصرفه عم سواه^(٢٦) . فالذي يمكن أن نقوله إنَّ ارتكاز الفكرة على شخصية رئيسية هي شخصية الإمام الرضا (عليه السلام) تلك الشخصية التي تعطي أبعاد دينية اجتماعية ، وما لها من تأثير في داخل البيئة الاجتماعية وما تحمله من أبعاد يجعل ما يقوله في دائرة التنفيذ فهو اهتمام بحياة الشخصية الداخلية وما تحمله من أبعاد في داخل المجتمع ، لذلك يقوم هذا الأسلوب التقريري على تقديم الشخصية من خلال وصف أحوالها وعواطفها وأفكارها ، بحيث يحدد ملامحها العامة ، ثم يقدم أفعالها بأسلوب الحكاية ، ثم يعلق وبطل بمستويات مختلفة^(٢٧) وقد تكون الشخصية ناقلة موجهة من خلال قولها ، لموقف ما كما قال أبو حيان وهو ينقل قول ابن مبارك " عند تصحيح الضمائر يغفر الله الكبائر "^(٢٨) . فخرجت الشخصية عن ميدانها المكاني أو الزماني ، بل كانت موجهة لصورة عاملة لا تتقيد بقدر أو جيل ، وهو أسلوب من أساليب محاكاة الواقع النفسي الذي اعتمد إليه الشخصيات ، لتقدم محتوى هادف وفعال تبنى عليه الفكرة . لذلك فإنَّ الشخصيات التي يبدعها المؤلفون إنما يستقونها في معظم الأحيان من أناس يعرفونهم أو يلاحظونهم^(٢٩) ، وهذا الأمر وإن تحقق إلَّا إنَّه لا يملك بعدًا كليًا في ذلك النقل فقد تغيب المعرفة المباشرة بتلك الشخصية ، ويبرز الحديث أو الكلام الذي عبرت عنه تلك الشخصية وحصول التأثير بها . وهذا ما تسير عليه الشخصية التاريخية التي يكون واقعها ازدواجي التي يركز عليها قلب هاملتون من بين الشخصيات ذات الوجود الفعلي في التاريخ ، وهذه المرجعية التاريخية تتفرغ إلى غدة فروع كالسياسية والدينية والثقافية ، كما يجب الانتباه أن بعض الشخصيات التاريخية لها أكثر من وجه ، فقد تكون الشخصية لها قائد واحد ومركزة عليه^(٣٠) . فرغم إنَّ معرفة الشخصية لها أبعادها ، إلَّا أنه يمكن أن يبرز لنا الحوار الذي يقدمه صاحب الشخصية على الصفة التي يملكها والتي تسيطر عليه ، وهذا ما كان واضحًا عند قول أبو حيان : " قال المنصور لأحد القواد : صدقت أمثال العرب (جَوْعَ كلبك يتبعك) ، فرد عليه : الطوسي : إذا اطعمه كريما غيرك تركك "^(٣١) رغم التوجيه الصادر من شخصية رئيسية مثل (المنصور) لجهة أقل منه ، بل هو المؤتمر عليها وهو (قواد جيشه) إلَّا إنَّ الرد الحاصل من شخصية ثانوية مثل (حميد الطوسي) كانت أكثر فعالية في جذب الانتباه ، بل كانت أكثر فعالية في بيان الأمر ، وخاصة إنَّه يعكس عليه ظاهرة الغدر أو الترك المتحققة في حالة وجود أقل ما يمكن لسد الرمح ؛ لأنَّه يؤدي إلى تركه والأبعاد عنه بالطريقة التي أرادها فليب هاملتون في تجسيد الحوار هي مبتنية على ضوابط الأعلى والأسفل في الخطاب ، خاصة في وجود الرئيس والأدنى منه ، فالتداخل الخطابي سيختلف من حيث المكان والزمان والمكانة الاجتماعية^(٣٢) فطريقة الحوار المتبعة هي حالة من حالات الانتقال بين الشخصيات ، والذي نجده هو التواصل الباقي مع الراوي الرئيسي ، من خلال الحوار الدائر بينهما ، وهذا ما بينه أبو حيان في قوله : قال الغساني : بينما أنا و نديمي وهب بن نبّه إذ قدم الخراساني ، فشاركنا الجلوس ، فرد عليه وهب : تبأ يا خرساني ، أتقبل على من غلق السبل في وجهك ، وأظهر الفقر ، وأخفى الغنا ، وتربى الذي يسر السبل لك ، ادعوني اكون لك عوناً^(٣٣) فالذي يمكن أن نلتفت له إنَّ الأسماء الواردة فيما نقله التوحيدي هي شخصيات رئيسية لا يمكن للنص أن يتخلى على واحدة منهم ، فكانت شخصية الغساني هي المقدمة وهي العارضة للشخصيات الأخرى بطريقة حوارية ، فحصل الحوار بين وهب والخراساني ، فجاءت صياغات الحوار كأنها بأسلوب مواظ مستمرة على صيغة التنبيه والتحذير الحاصل فيها . والملاحظ إنَّ النقاط لم يلتزموا عنوان الشخصية الرئيسية كتسمية بل انتقلوا فيها بين تسميات أخرى ، منها البؤرية ، والعلة في ذلك الأمر لأنَّها العلة الرئيسية في الإدراك وتتجسد فيها ، وتنقل المعلومات من خلالها وهي على نوعين ، منها متعلق بالشخصية الرئيسية ومنها ما يتعلق بالشخصيات الأخرى ، أي موضع تبئير وضرب يتعلق بسائر مكونات العالم المصور بشخصياته الأخرى المكونة للحدث^(٣٤) . وهذا الأمر واضح للعيان في الشخصيات التي رسم ملامحها ابن سنان ونقلها لنا أبو حيان ، على صورة الأسلوب الحواري المقدم للوعظ والارشاد الحاصل فيها وهذا يعني إنَّ هذه الشخصية هي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام ، وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية هي البطل الذي ترتكز عليه الحكاية أو الرواية التي تنقل ، ولكنها المحورية ، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية^(٣٥) .

ثانيًا : الشخصية الثانوية

تعتبر هذه الشخصية من الشخصيات الساندة للرئيسية ويقع عليها عبأ التواصل مع الشخصيات الأخرى خاصة في الواقع الحواري المتحقق بين الشخصيات ، فقد تكون المساعد للرئيسية التي تعرض الرواية أ أما الثانوية فهي تأخذ بالانتقال بين الشخصيات لتجسيد الحوار . وهي تعرض لنا دائمًا وبصورة واضحة وبسيطة . فهي المصاحب والرفيق اللصيق بالرئيسية أينما وجدت لخلق تكامل وجهل الأحداث تسير بخطى ثابتة إلى النهاية

، وخاصة إذا علمنا إن هذه الشخصية نضيء جوانب خفية أو موارد مجهولة من الشخصية الرئيسية^(٣٦) والذي يمكن ملاحظته إن الشخصيات الثانوية يكون لها دور متفاوت في إداء الأدوار ، فمنها ما هو ضروري في تطور الأحداث ، بل تكون مساعدة للشخصيات الرئيسية ، ومنها يتولد دور تكميلي يضيف موارد متعددة على الأحداث الحاصلة في داخل المشهد ومن هذه القصص التي نقلها التوحيدي وتعدد فيها الشخصيات :
أورد شخصية العنتبي : وما قاله بن مروان لابن الحارث : ما بقي من احسانه وتقديره للضحاك ؟ قال : ما لا يغني ولا يسمن ، قال : لحبكم له يا معشر قيس ، قال : حبا وكروما لا غير^(٣٧). رغم التعدد الحاصل في الشخصيات الثانوية ، فإن الشخصية الرئيسية هي المنطلقة بالحدث وهي شخصية (التعتبي) ، وكانت الشخصيات التي وردت في الرواية متجسدة للحدث بصورة حوار طلبي واستقاري ، من حلال السؤال والجواب ، فبدأ بشخصية بن مروان الذي وجه سؤاله بن الحارث ، فكان أصل الحوار بدء عن شخصية مروان بن الحكم ، وبعدها استرسلت الشخصيات بالظهور تباعاً كما في شخصية الضحك بن قيس والحوار الحاصل قد حقق نتائج من خلال السؤال والجواب ، مع عصر الرواية إلى إن الهدف تحقق منها في اجابته على المواساة وعدمها .وفي نفس الاتجاه سارت قصة نقلها التوحيدي بقوله : قال بن سلام : مدح ابن الرقيات عبد الله بن جعفر فأسنى له السنايا وأفاض عليه وعلى بلغته ، فقال لوكيل عبد الله : فد نفذ علف البغلة ، ففهم عبد الله مقصده فدعا بكيس من الدنانير فبدء يعدها ، فسرور ابن الرقيات على صوتها ، فجزاه الف دينا وستدرك : أتراها بقي علفاً لبغلتك؟^(٣٨) .فحققت الرواية هدفها ومغزاها بفعل التفاعل الحاصل بين شخصياتها الثانوية التي تفاعلت في تحقيق الغرض الذي يرمي له صاحب الرواية وهو محمد بن سلام .فالشخصيات الثانوية التي ورد ذكرها كان لها دور أكبر من الشخصية الحقيقية ، فلو غيبنا أحد الشخصيات لما قمت الرواية ما نبغي له ، والعلة لأنها فقدت واحد من عناصرها المكمل لأحداثها فكانت مساندة في تحقيق التقنيات السردية من خلال دلالة حضورها داخل المشهد الحكائي في داخل الرواية .ورغم إن المتأمل في نصوص أبي حيان إن معظمها أخبار وأحاديث ، فهو ينقل لأحاديث المجالس بطريقة غير مباشرة ، بعد أن يكون قد أعلن حضوره للمجلس بطريقة النقل للأحداث الحاصلة فيه ، وهنا يمكن القول إن " الصيغة السردية ارتبطت بإرسال شيء هو على مسافة من مرسله ، وهذه المسافة قد تكون زمانية ، أي يخبر عن شيء انتهى ، وقد تكون مكانية ، إذ يخبر بشيء لا يرتبط بقائله ، وفي إطار هذه الصيغة السردية كان الحديث بصورة تلاحمية دقيقة بين الأحداث والأشخاص وبذلك فالعرض بشخصياته يرتبط بشيء يتحقق على الأقل في زمن إرساله"^(٣٩)
ونلاحظ إن هنالك شخصيات مدورة تبقى مع الحدث وتكرر ولها القدرة على فرض أحداث جديدة ومباغثة في نفس الوقت ، بل هي المجددة للأحداث داخل المشهد لأنها تملك عمقا فكريا ونفسيا ، فتبدل قصارى جهدها في إبراز الأحداث لصورة متداخلة وشمولية .وهذا الأمر قد تحققت الروايات والأخبار التي نقلها لنا أبو حيان التوحيدي في كتابه ومنها : قوله : قال أحمد بن أبي طاهر : قال بن جبير لأبي الحارث بن السائب : ألا تخرج بنا إلى الحرّة حتى نتمخر الزّيح ؟ قال : إنّما تتمخر الحمير ، قال : فنستثي ، قال : إنّما تستثي الكلاب ، قال : فأني شيء أقول ؟ قال : نتنسم ، فقال له نافع : صه ، أنا ابن عبد مناف ، قال أبو الحارث ألقفتك والله عبد مناف بالدكادك ، وذهبت عليك هاشم بالنبوة ، وأنية بالخلافة ، وبقيت بين فرقها والحنّة ، وأنت في السماء وشرفك في الماء ، فقال : ابن أبي عتيق : يا بن جبير ، قد كنت فينا مأمولا قبل هذا ، قال ابن جبير : وما أفعل بمن عال نسبه وبذو لسانه ؟^(٤٠) فرغم تعدد الشخصيات في الرواية المذكورة فإن شخصية (نافع) بقيت مستمرة على طول القصة الواردة في الرواية ، فلولا هذه الشخصية لما أصبح منهج واضح للرواية المنقولة .ولا يخفى إن الشخصية الثانوية في أي عمل أو أي خبر تعتبر من أعقد الشخصيات في الإنتاج السردى لأن خلق الشخصية في وصفها الاجتماعي أو الحضاري والسايلوجي تختلف حسل الأدوار التي تؤديها وما تهدف له .ومن أهم مميزات دخولها ضمن الفكرة الواحدة والتزامها بصيغة لا تتغير ، زيادة على ذلك وضوحها في سردها وعدم التكلف في معرفة دورها ، وهي متغيرة حسب ما ينقل ، فقد يكون دورها عائني في رسم ملامح أحداث عائلية أو اجتماعية مغيرة للواقع ومتحدثة عنه بل هي دورها في تطوير الأحداث رغم كونها ثابتة لا تتغير^(٤١) وهذا واضح للعيان في التوجيهات التي تصدر من جهات عليا إلى أدنى منها ، فتأخذ الشخصيات المأمورة في بيان دور في الحوار والسؤال والجواب ، والاشكالات ، وقد تتكرر ، في مواضع كثيرة ، بل إن " حضور الشخصيات الثانوية يختلف من حيث الأدوار ، فهناك شخصيات لها أهمية وطبقية أساسية ؛ كونها من الحوافز الضرورية لتنامي الحدث ومساندة لواقع الشخصية الرئيسية ، أو الشخصيات التي لها وظيفة تكميلية ، أي إنها حوافز ثانوية ليس لها تأثير على تطور الشخصية ذاتها ، وإنّما يمكن وجودها كوظيفة إيجابية داعمة أو خلق حالة الإيهام الواقع أو التعريف بالخصوصية"^(٤٢) .فالشخصيات التي يكون عملها أقل فاعلية من الشخصيات الرئيسية لكن تعد عنصراً مساعداً في المتن الحكائي والمعبر عن ما أراده منتج النص بكل أشكاله لأنها جاءت لتؤدي وظائفها ، ومنها تقديمها لشخصيات داخل الرواية أو الأخبار متعددة ، معتمدة على النزعة الحوارية في عرض الأحداث المصاحبة للاستفهامات والتعجبات فمن المنادمة في مجلس واحد نقل التوحيدي هذا الخبر بقوله : سأل المأمون : يا أبا الطيب ، كيف تصف طباع محمد أخي ؟ قال : رحب

الشُّو ، مكتظ الفن ، ثم قال : و ماذا عن حروبه ؟ قال : إنّه يجمع الفرقة بالبذخ ، ويشنتها بفساد التحكيم والتدبير ، قال : كيف حالكم معه ؟ قال مدّ غيور شجاع يخال وفي فيهم علق المخبثين ، وتضحى وفي سرائرهم المتشدين^(٣) فالتكتم الحاصل في إدارة الحوار من شخصية المأمون ، الذي لم يرد الاستطراد في سماع صيغة السؤال لأسباب قد تكون للذم الحاصل أو لمعرفته بتمام الحديث ونهايته ، حتى تجعل الحوار متعدد الأسئلة ، والملاحظ في شخصية الطاهر ابن الحسين إنّه كان مستجيباً له ولم يطلب منه مقاطعة الحديث ليكمل في إتمام جوابه فسعى أن يجزل في كلماته رغم قصرها . ولعل باب الوعظ كان مورداً من موارد روايات التوحيدي ، وخاصة وهو ينقل روايات متعلقة بالجوانب الدينية والاجتماعية ، وهي جوانب إرشادية ، ومنها قوله : قال الرافضة ، قال الامام جعفر بن محمد (عليه السلام) : في فضل وابتغاء الايام فمنه مكر وخداع ، وآخر عرس وبناء ، ومنه سفر وابتغاء ، ومنه حرب ودم ، ومنه أخذ وإعطاء ، وخيرهم دخول على الأمراء وطلب الحوائج ، وآخرهم خلوة ونكاح^(٤) . فطريقة الوعظ والإرشاد الحاصلة من الأما الصادق (عليه السلام) هي ملزمة للنظر إليها وتطبيقه من قبل طائفة تعتقد بإمامته ، وقد عبر عنهم أبو حيان بقوله (الرافضة) وهو لقب أطلق على الشيعة الامامية من قبل الحكام وكتابتهم ، فجاء الحوار في شخصية ثانوية كان لها الحديث الرئيس والمهم ، فلم يتبنى الرواية على الحوار أو السؤال والجواب ، بل كانت واضحة المعالم في بيان دورها الإرشادي والتوضيحي . وبذلك يمكن القول إن الشخصيات الرئيسية أو الفرعية (الثانوية) كلاهما مهم في البناء السردى وسرد الأحداث بدقة ، وقد يؤدي الحل في الشخصية على الضعف الذي يحث في نقل الأخبار والتركيز على المعطيات التي تقدمها هذه الأخبار ويمكن القول إن الانسجام الحاصل بين هذه الشخصيات التي تؤدي أدوارها أسماء معرفة في واقعها الفكري أو الديني أو السياسي أو حتى العسكري مع مراعاة الطبقات النفسية والمزاجية التي تعتمد عليها الطبقات أو الشخصيات ، وبذلك يظهر المضمون السيكلوجي في الأدب والنقد أو عند النقاد والادباء ، من خلال تقديم الحياة التي تشكل الواقع الاجتماعي والسياسي لكل الطبقات ومن خلال ذلك إنّ أبا حيان التوحيدي أهتم بالشخصية اهتماماً منقطع النظير ؛ لأنها المرتكز الحقيقي في إبراز الأحداث التي أراد نقلها لنا ، وتتوزع هذه الشخصيات على مستويات واسعة وليست منحصرة في طبقة معينة دون أخرى ، وهذا يعني إنّها أهم شيء في الحوار ومن أسباب تحقيق الأهداف ، بل يمكن أن تعد المحرك الأول بالأحداث الحادثة باعتبار إنّ الشخصية بنوعها تستمد معطياتها من الواقع المحيط بها ، وتتميز بعرض الأنماط البشرية التقليدية وغير التقليدية من خلال الواقع الذي تعيشه

الخاصة :

توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج منها :

- ١- إنّ تطبيق مفهوم الشخصية السردية وفق مفهوم هاملتون على كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان كان شيئاً جديداً ، وتناول فيه المؤلف العديد من الشخصيات المتنوعة .
- ٢- لم يركز أبو حيان على شخصية دون أخرى ، سواء كانت رئيسية أو ثانوية ، بل نلاحظ اعتماده على كل الشخصيات في تحديد معايير الأحداث
- ٣- لم ينقيد أبو حيان الأندلس بروايات معينة وفق قالب ثابت كالروايات الدينية أو الروايات التي تتضمن الفحش والألفاظ النابية ، بل كان عرضاً بصورة واضحة وعدتلة لكل الروايات والحكايات .
- ٤- تناولت الروايات والحكايات التي ذكرها أبو حيان شخصيات نقلت لنا دلالات ألفاظ جديدة ولعل قسم منها يحاكي الواقع المعاش .
- ٥- كان للجانب النفسي والاجتماعي والسياسي دوره في ما عرضه أبو حيان من حكايات وروايات ممكن أن تكون منهجاً نقدياً متبعاً ومفهوماً في التاريخ السابق .

المصادر

- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، ٢٠٠٢ م .
- البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ م .
- بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي ، حميد خمداني ، دار الأبرار ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٤ م .
- البنيوية ، جان بياجيه ، دار عويدات ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢ م .
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدين الذهبي ، دار الغريب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .
- تحليل النص السردى / تقنيات ومفاهيم ، محمد بو عزة ، دار الأمان ، الرباط ، ٢٠١٢ م .
- التداخل بين الشخصيات ، سعيد أحمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
- تطور البنية الفنية في القصة ، أحمد شريطة ، دار القضية ، الجزائر ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .

- تلقي السرديات في النقد الأدبي ، سليمة لوكام ، دار سحر ، تونس ، ط١ ، ٢٠٠٩ م .
- الأبعاد الزمانية والمكانية للنص ، سلام أحمد سعيد ، دار العروبة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٨ م .
- جدلية المتن والتشكيل السردى ، سمي الهاجري ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩ م .
- الخبر في السرد العربي ، سعيد جبار ، شركة النشر العالمي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٠ م .
- سيميولوجيا الشخصيات الروائية ، فيليب هامون ، ترجمة: سعيد بنكراد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية-سورية، ط١ ، ٢٠١٣ .
- الشخصية من المستوى المحسوس إلى المستوى المجرد في رواية غدا يوم جديد ، نبيلة بونشاده ، مجلة المخبر ، جامعة محمد خيضر ، الجزائر ، العدد ٧ ، ٢٠١١ م .
- شعرية الخطاب السردى ، محمد عزان ، دار الكتاب العربى ، بيروت . ط١ ، ٢٠١٢ م .
- علم الشعرىات (قراءة مونتاجية في أدبية الأديب) ، عز الدين المناصرة ، دار مجلاوي ، عمان ، ط٢ ، ٢٠٠٧ م .
- العين ، خليل بن أحمد الفراهيدي ، دار الكتاب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ م .
- قاموس السرديات ، جيرالد برنس ، مبريت للمنشورات ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
- كتابة الرواية من الحكبة إلى الطباعة ، لورانس بلوم ، دار الأحرار ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩ م .
- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ م .
- محيط المحيط ، بطرس البستاني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ م .
- مدخل إلى تحليل النص الأدبي ، عبد القاهر أبو شريعة ، دار الفكر ، عمان ، ط٣ ، ٢٠٠٠ م .
- المصطلح السردى ، جيرا لديرنس ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
- معجم السرديات الرابطة ، محمد الفاضلي ، الدولية للنشر ، فلسطين ، ط١ ، ١٩٩٨ م .
- معجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ م .
- مناهج تحليل النص الأدبي ، إبراهيم السعافين ، وعبد الله الخياض ، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، ط١ ، ١٩٩٣ م .

هوامش البحث

- (١) ينظر : الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط٥ ، ٢٠٠٢ م : ٤ / ٢٥ .
- (٢) ينظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدين الذهبي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ م : ٣٧ / ٨ .
- (٣) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ م : ٤ / ١١٤ .
- (٤) ينظر : محيط المحيط ، بطرس البستاني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ م : ٤٠٥ .
- (٥) ينظر : بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي ، حميد خمداني ، دار الأبرار ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٤ م : ٤٥ .
- (٦) قاموس السرديات ، جيرالد برنس ، مبريت للمنشورات ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣ م : ١٢٢ .
- (٧) ينظر : السردية الواقعية ، سعيد أحمد ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ م : ٤٢ .
- (٨) ينظر : دلالة الأجناس الأدبية وواقعها ، عبد العزيز سلموني ، الدار التونسية ، تونس ، ط١ ، ٢٠١١ م : ١٢٣ .
- (٩) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ م : ٢ / ١١٨ .
- (١٠) ينظر : ينظر لسان العرب : ١١٨ / ٢ .
- (١١) ينظر : المعجم الوسيط ، دار أضواء ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩ م : ١ / ٧٢ .
- (١٢) ينظر : مناهج تحليل النص الأدبي ، إبراهيم السعافين ، وعبد الله الخياض ، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، ط١ ، ١٩٩٣ م : ٦٨ - ٦٩ .
- (١٣) ينظر : علم الشعرىات (قراءة مونتاجية في أدبية الأديب) ، عز الدين المناصرة ، دار مجلاوي ، عمان ، ط٢ ، ٢٠٠٧ م : ٥٤ .
- (١٤) ينظر : البنيوية ، جان بياجيه ، دار عويدات ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢ م : ١٦ .
- (١٥) ينظر : العين ، خليل بن أحمد الفراهيدي ، دار الكتاب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ م : ٢٦٧ .
- (١٦) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور : ٣٢ / ٨ .

- (١٧) ينظر : معجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨م : ١ / ٤٧٥ .
- (١٨) ينظر : المصطلح السردي ، جبرا لديرنس ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣م : ٤٢ .
- (١٩) ينظر المصدر نفسه : ٤٣ .
- (٢٠) ينظر : تلقي السرديات في النقد الأدبي ، سليمة لوكام ، دار سحر ، تونس ، ط١ ، ٢٠٠٩م : ٨١ .
- (٢١) ينظر سيميولوجيا الشخصيات الروائية ، فيليب هامون ، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية-سورية، ط١ ، ٢٠١٣ ، ٣٥ .
- (٢٢) ينظر : الأبعاد الزمانية والمكانية للنص ، سلام أحمد سعيد ، دار العروبة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٨م : ٣٢ .
- (٢٣) البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م : ١٥ / ٧ .
- (٢٤) الشخصية الأنثروبولوجية العجائبية في رواية مائة سنة من العزلة ، بابه غيبوب ، دار أحياء التراث ، بيروت . ط١ ، ٢٠٠١م : ٧٢ .
- (٢٥) التداخل بين الشخصيات ، سعيد أحمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م : ٢٤ .
- (٢٦) ينظر البصائر والذخائر ، لأبي حيان : ١١٩ / ٧ .
- (٢٧) شعرية الخطاب السردي ، محمد عزان ، دار الكتاب العربي ، بيروت . ط١ ، ٢٠١٢م : ١٩ .
- (٢٨) البصائر والذخائر : ٢١ / ٧ .
- (٢٩) كتابة الرواية من الحكمة إلى الطباعة ، لورانس بلوم ، دار الأحرار ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م : ١٣٠ .
- (٣٠) ينظر : الشخصية الأنثروبولوجية العجائبية في رواية مائة سنة من العزلة ، بابه غيبوب ، دار أحياء التراث ، بيروت . ط١ ، ٢٠٠١م : ١٢٣ .
- (٣١) ينظر البصائر والذخائر : ٤٥ / ٧ .
- (٣٢) ينظر : الشخصية ودورها في الزمان والمكان ، محمود سالم سعيد ، الدار الجزائرية ، الجزائر ، ط١ ، ٢-١٢م : ٢١٠ .
- (٣٣) ينظر البصائر والذخائر : ٥٦ / ٣ .
- (٣٤) معجم السرديات الرابطة ، محمد الفاضي ، الدولية للنشر ، فلسطين ، ط١ ، ١٩٩٨م : ٢١٧١ .
- (٣٥) تطور البنية الفنية في القصة ، أحمد شريطة ، دار القضية ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٩م : ٤٥ .
- (٣٦) مدخل إلى تحليل النص الأدبي ، عبد القاهر أبو شريعة ، دار الفكر ، عمان ، ط٣ ، ٢٠٠٠م : ١٣٥ .
- (٣٧) ينظر البصائر والذخائر : ١٦٣ / ٣ .
- (٣٨) ينظر البصائر والذخائر : ١٨١ / ٤ .
- (٣٩) الخبر في السرد العربي ، سعيد جبار ، شركة النشر العالمي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٠م : ٩٤ .
- (٤٠) البصائر والذخائر : ١٤٩-١٤٨ / ٤ .
- (٤١) تحليل النص السردي / تقنيات ومفاهيم ، محمد بو عزة ، دار الأمان ، الرباط ، ٢٠١٢م : ٥٧ .
- (٤٢) جدلية المتن والتشكيل السردي ، سمي الهاجري ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م : ٣٥ .
- (٤٣) البصائر والذخائر : ١٩٢ / ٤ .
- (٤٤) البصائر والذخائر : ١٩٨ / ٤ .